Abhat Journal, Volume. 17, Issue. 2, September 2025

Abhat Journal, Faculty of Arts, Sirte University مجلة أبحاث بكلية الآداب جامعة سرت
Source Homepage: http://journal.su.edu.ly/index.php/ABHAT/index

Doi : http://doi.org/10.37375/aj.v17i2.3490

طبيعة القيم في الفكر اليوناني بين النسبية والموضوعية

(دراسة تحليلية مقارنة)

د. رجب علي يونس العقيلي

أستاذ مشارك بقسم الفلسفة/ كلية الآداب/ جامعة عمر المختار– ليبيا

Raj1968ali@gmail.com

الملخص:

شكّلت مسألة القيم محور نقاشات حادة في الفكر اليوناني القديم، خاصة بين السفسطائيين وأفلاطون، إذ تبنى السفسطائيون النزعة الطبيعية للقيم فاعتقدوا أنّ القيم نسبية تعتمد على الإنسان الفرد، وهذه النظرة أدت إلى النسبية الأخلاقية والمعرفية والقيم الأخرى، حيث لا وجود لحقيقة أو قيمة مطلقة، مؤكدين أنّ القوانين والأعراف الاجتماعية ليست سوى اتفاقات بشرية قابلة للتغيير، وأنّ المنفعة الذاتية هي المحرك الأساسي للأفعال، وعلى النقيض تمامًا دافع أفلاطون عن النزعة المثالية للقيم، معتقداً بوجود عالم مستقل للمُثل أو الأفكار، حيث توجد القيم العليا كالعدالة والخير والجمال بشكل مطلق وثابت، ولهذا جاء البحث وبمنهج تاريخي تحليلي مقارن لدراسة هذا الصراع الفكري العميق حول طبيعة القيم ليصل بعد ذلك إلى حقيقة مفادها أنّ القيم ذاتية وموضوعية في ذات الوقت تؤثر فيها اعتبارات ذاتية داخلية للفرد وأخرى خارجية تتمثّل في الثقافة والأعراف والمعتقدات التي تخص كل مجتمع على حدا.

الكلمات المفتاحية:

النزعة الطبيعية للقيم، النزعة المثالية للقيم، السفسطائيون، أفلاطون، القيم.

معلومات النشر:

تاريخ الاستلام: 2025/07/19

تاريخ القبـــول: 2025/08/02

تاريخ النشـــر: 2025/09/01

The Nature of Values in Greek Thought: Between Relativism and Objectivity: A comparative Analytical Study

Rajab Ali Younis Aqilly

Department of Philosophy, Faculty of Arts

Omar Al-Mukhtar University, Libya

Raj1968ali@gmail.com

Abstract:

The question of values was at the heart of heated debate in ancient Greek thought, especially between the Sophists and Plato, The Sophists, adopted a naturalistic view of values, believing that values are relative and dependent on the individual human, This perspective led to moral, epistemological, and other forms of relativism, asserting that there is on absolute truth or value, They emphasized that laws and social customs are merely human agreements subject to change, and that self-interest is the primary driver of actions In stark contrast, Plato defended an idealistic view of values, believing in the existence of an independent realm of Forms or Ideas, where higher values such as justice, goodness, and beauty exist as absolute and immutable, this research, employing a historical, analytical, and comparative methodology, aims to study this profound intellectual conflict over the nature of values, The study concludes that values are both subjective and objective simultaneously, influenced by internal individual considerations and external factors such as culture customs, and beliefs specific to each society.

Keywords:

Naturalism of Values, Idealism of Values, Sophists, Plato, Values.

Information:

Received: 19/07/2025

Accepted: 02/08/2025

Published: 01/09/2025

المقدمة:

تُعدّ القيم من المفاهيم المحورية في حياتنا اليومية، وغالباً ما نتناولها بالحديث، ونشكو من تدهورها في أحيان كثيرة، وتُمثّل الإحساس بالقيم حاجة ملحة للإنسان المعاصر، خاصةً مع انتشار السطحية التي تُعيق إدراكنا للقيم الحقيقية للأشياء والأشخاص. (زقزوق، 1983، ص135) وبرز مبحث القيم الذي يُعرف بالأكسيولوجيا (Axiology)، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (البسيوني، 2002، ص18) مبحثاً فلسفياً يُعنى بدراسة قيم الأشياء وتحليلها، وتبيان أنواعها وأصولها. ويدرس هذا المبحث المفاهيم المرتبطة بالقيم الأخلاقية، والجمالية، والمعرفية. ويتسابق الفلاسفة، على اختلاف اتجاهاتهم ومدارسهم في شرح وتحليل مفهوم القيم وتحديد معانيها المتباينة. ويبرز التساؤل الأساس حول ما إذا كانت القيم موضوعية أم

©Abhat Journal, Sirte University 2025

ذاتية؛ أي هل توجد قيم عالمية تنطبق على البشر كافة، أم أنّها تتفاوت وتختلف باختلاف الثقافات والتجارب الشخصية ؟ ويُفسّر البعض القيم عقلياً ومثالياً، بينما يربطها آخرون بأسباب طبيعية أو نفسية أو اجتماعية، ليقدموا تفسيراً واقعياً أو موضوعياً. وتكتسب القيم أهمية قصوى في جميع جوانب الحياة الإنسانية، سواء المادية أو المعنوية، فهي تُنظّم العلاقات الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والنفسية. ويُعدّ توضيح هذا الجانب من حياتنا جزءاً أساسياً من أي فلسفة. إذ يعود البحث في القيم أساساً إلى نظرية المثل الأفلاطونية، وتعمق هذا البحث واتسع نطاقه في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، وكان ظهور مصطلح نظرية القيم (Axiology) دليلاً على الاهتمام المتزايد بهذا الموضوع (زقزوق، 1983، ص135)، ويُعدّ البحث في القيم الآن باباً مهماً من أبواب الفلسفة العامة، يرتبط بشكل خاص بعلوم المنطق، والأخلاق، والجمال، والإلهيات.

إشكالية البحث:

تتمحور حول محاولة الخروج من المأزق الفلسفي القائم بين مختلف الفلسفات والاتجاهات الفكرية بشأن طبيعة القيم. ويرى البعض أنّ القيم تقوم على أساس موضوعي مطلق يجعلها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، بينما يرى آخرون أنّها نسبية وذاتية تخضع لرغبات الأفراد والجماعات. ويسعى هذا البحث إلى حل هذا الإشكال بالبحث في أصول القيم في الفكر اليوناني الكلاسيكي، وتحليل مصادر كل طرف، والنتائج المترتبة على كل اتجاه، مقتصرا في ذلك على كلٍّ من: السفسطائيون وأفلاطون، محاولة للإجابة عن التساؤل التالي: هل القيم نسبية تعتمد على الظروف، أم أنّ هناك قيماً موضوعية يمكن الاتفاق عليها عالمياً ؟

أهمية البحث:

1. فهم الواقع وراء السلوك الإنساني.
2. تساعدنا القيم في فهم طبيعة الوعي لدى الفرد وعيه بذاته وبما يحيط به.
3. معرفة كيف تنظم القيم العلاقات الإنسانية على كافة المستويات وتفسّر الاختلافات الثقافية حول المعايير الاخلاقية والجمالية.

أهداف البحث: تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

1. تقديم تحليل حول مفهوم القيم وتعددها مع التركيز على الجدل القائم حول طبيعتها.
2. تسليط الضوء على الرؤية الفلسفية للقيم في الفلسفة اليونانية مع مقارنتها مع بعض الآراء الحديثة والمعاصرة حول القيم.
3. محاولة الإجابة عن التساؤلات الفلسفية حول طبيعة القيم هل هي موضوعية ومطلقة أم ذاتية ونسبية ؟

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي التحليلي المقارن في معالجة إشكالية البحث، وذلك لتوضيح مصادر كلتا النزعتين وما ترتب عليهما من نتائج حول القيم.

خطة البحث:

تمّ تقسيم الدراسة إلى خمسة عناصر وخاتمة، العنصر الأول يتناول مفهوم القيمة وتعدد أبعاده حيث تسلط الضوء على مقاربة علم الاقتصاد للقيمة من منظور المنفعة والتبادل، وتستعرض في المقابل المقاربة الفلسفية التي تنظر إليها كمعيار للحكم على الأشياء والأفعال، ثم تنتقل الدراسة إلى العنصر الثاني بتناول تصنيف القيم إلى أنواعها المختلفة مثل القيم الأخلاقية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية مع تحليل الأسس التي يقوم عليها كل تصنيف.

أمّا العنصر الثالث فيتناول تحليل الإشكالية الأساسية المتعلقة بذاتية وموضوعية القيم ويناقش ما إذا كانت القيم مرتبطة بالإدراك الفردي أم أنّها حقائق ثابتة ومستقلة عن الذات الإنسانية.

أمّا العنصر الرابع فيتناول القيم النسبية والموضوعية في الفكر اليوناني عند كل من السفسطائيين وأفلاطون.

والعنصر الخامس فيطرح محاولة لتجاوز ثنائية النسبية والموضوعية وتقدم مقاربات تسعى إلى تحقيق التوازن بينهما، مقاربة تؤكد على الجانب الإنساني مع الحفاظ على أسس ومعايير تمنع السقوط في العدمية والتشظي.

ثم تختتم الدراسة باستنتاجات تلخص النتائج الرئيسة التي تمّ التوصّل إليها.

الدراسات السابقة:

توجد العديد من الأبحاث والدراسات التي تناولت مبحث القيم أو الاكسيولوجيا منها ما يأتي:

1. مقال بعنوان (فلسفة القيم معناها ودلالاتها من سقراط إلى أزمنة الحداثة) لمؤلفه جميل قاسم نشر بمجلة الاستغراب السنة الثانية. العدد4. صيف 2016. تتبع الباحث تطور مفهوم الاكسيولوجيا من الفلسفة اليونانية القديمة وصولاً إلى العصر الحديث، وهو يوضح كيف أنّ الفلاسفة مثل سقراط وأرسطو وديكارت وليبنتز تعاملوا مع

مسألة القيم.

2. مقال بعنوان (مفهوم القيم في الفلسفة والعلوم) لمؤلفه مصطفى شربال نشر بمجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مجلد 4، العدد4، أكتوبر 2021. حلل الباحث مفهوم القيم في السياقات المتعددة مركزاً على الاختلافات في النظرة إلى القيم بين المذاهب والاتجاهات الفلسفية المختلفة، كما تطرّق إلى الجدل حول مصدر القيم هل هو إنتاج اجتماعي أم هو مطلق وموضوعي.

3. مقال بعنوان (نحو نظرية كونية في القيم قراءة في مفهوم الخير الأخلاقي عند بري) لمؤلفه أحمد عبد الحليم، مجلة الاستغراب، العدد 4، السنة الثانية، صيف 2016. يركز هذا المقال على رؤية أحد فلاسفة الواقعية الجديدة وهو (رالف بارتون بيري) حول إمكانية بلورة نظرية معرفية عالمية للقيم، وهو يلامس فكرة وجود قيم كونية تنطبق على البشر كافة.

والحقيقة أنّ فكرة البحث بدأت لدى الباحث بعد إلقاء محاضرات كلفت بها في برنامج الدراسات العليا لطلبة الماجستير بالقسم، ثم تبلورت الفكرة ومشكلتها عند الاطلاع على هذه الدراسات السابقة على قلتها، فاستفادت الدراسة الحالية منها على صعيد المنهج المتبع فيها، كذلك التعرّف على العديد من الأبعاد الفلسفية لهذه الإشكالية،كل ذلك انعكس بدوره إيجابياً في هذه الدراسة.

أولاً: مفهوم القيمة:

يركز الباحث هنا على تناول مفهوم القيمة اصطلاحاً؛ نظراً لأنّ اللغة لم تتناول هذا المفهوم بمعناه الحديث والمتجدد، بل اكتفت بتعريفات للفعل "قَيَّمَ" وما له من دلالات في سياقات متعددة ومختلفة، حيث يأتي بمعنى ثمن الشيء وقيمته، وبمعنى الاستقامة، وتارة أخرى يأتي بمعنى الثبات والدوام والاستمرار. (ابن منظور، د.ت، ص500-504).

أمّا اصطلاحاً فتناول العديد من الباحثين والمفكرين مفهوم القيمة في مختلف المجالات والتخصصات: كعلم النفس، والفلسفة، والاجتماع، والاقتصاد، وغيرها من مجالات المعرفة. وأدى هذا التنوع إلى قدر كبير من الغموض والخلط في استخدام المفهوم، بل وحتى داخل التخصص الواحد. ولأنّ هذا البحث لا يستطيع ذكر كل العلوم وكيفية تناولها لمفهوم القيمة تمّ اختيار مجالين رئيسين: علم الاقتصاد، بصفته أول من استخدم مصطلح القيمة، والفلسفة التي تُعدّ مجال اهتمامنا.

أ. علم الاقتصاد: بدأ استخدام مصطلح القيمة بفضل علم الاقتصاد، حيث أصبح من المصطلحات الأساسية في الدراسات الاقتصادية التي تهتم بنظرية القيمة، ويُطلق هذا المصطلح على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته لاعتبارات اقتصادية، أو سيكولوجية، أو اجتماعية، أو جمالية (البسيوني، 2002، ص19).

ويُعرّف مفهوم القيمة في لغة الاقتصاد بمعنيين: الأول هو قيمة المنفعة، وتعني صلاحية شيء لإشباع حاجة، أمّا المعنى الثاني فهو قيمة المبادلة (عمر، 1982، ص154)، ويُساوي المتاع عندما يُستبدل به غيره في السوق. وبالتالي تُعدّ قيمة المنفعة مفهوماً فردياً اعتبارياً، بينما قيمة المبادلة مفهوم جماعي موضوعي (خليفة، 1978، ص30-31).

إذاً ترتبط القيمة في علم الاقتصاد بنظرية الثمن أو السعر، وتُضمّن في الفكر الماركسي ضمن نظرية توزيع السلع والخدمات وتقييم عدالة هذا التوزيع. لكن استخدام هذا المفهوم لا يقتصر على المجال الاقتصادي المادي، بل يُستخدم أيضاً في المجالات غير المادية للتعبير عن قيم معنوية أخرى. (زقزوق، 1983، ص136).

ب. الفلسفة: تُعدّ القيم في الفلسفة جزءاً من الأخلاق والفلسفة السياسية، ولا يزال تحديد مفهوم القيمة عند الفلاسفة محوراً لخلافات أساسية بين المدارس والمذاهب المختلفة، حيث تتفاوت الآراء المتعلقة بموضوع القيم تفاوتاً كبيراً، حيث أشار الفيلسوف الأمريكي (جون ديوي Jon Dewey1859- 1952) إلى هذا التفاوت، حيث تتراوح الآراء بين اعتبار القيم مجرد إشارات أو تعبيرات صوتية، وبين الاعتقاد بضرورة المعايير القبلية العقلية كأساس للفن، والعلم، والأخلاق، والجمال (إبراهيم، 1974، ص223). وبالتالي انقسم الفلاسفة في تفسيرهم للقيم إلى اتجاهين:

* الاتجاه المثالي أو العقلي: والذي عبر عنه أفلاطون بأنّ الناس لا يدركون مصادر الإلزام في حياتهم، لكنهم يدركون مُثلاً عليا كالحق والخير والجمال، ويتطلعون إليها ويسعون لتحقيقها (عبد الرحمن، 2001، ص15)، ويعتقد أفلاطون أنّ هذه القيم لا بد لها من مصدر استقى منه الناس هذه المعتقدات، ويستبعد أنْ يكون الحس مصدراً لمثل هذه الأفكار السامية. لذلك يذهب إلى أنّ مصدر هذه الأحاسيس والأفكار السامية هو عالم آخر غير هذا العالم الذي نعيش فيه، وهو عالم المثل، حيث توجد الأشياء كاملة كما يجب أنْ تكون. (خليفة، 1987، ص32).

كذلك يشير (هنتر ميد 1907-1961) في كتابه (الفلسفة أنواعها ومشاكلها) إلى أنّه لا يوجد للأخلاق –على سبيل المثال– إلّا معياراً أو قانوناً واحداً منذ الأزل يسري على جميع البشر مستقل عن العصر والتقاليد والثقافات، فالخير والحق شامل ويسري على كل زمان ومكان. (ميد، 2022، ص264).

* الاتجاه المادي: يرى أنّ الأشياء لا ترتبط بقيم سامية لسر كامن فيها، بل هي نتاج اتصالنا بها وتفاعلنا معها، بمعنى أنّها صفة شخصية يُضفيها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء، طبقاً للظروف والملابسات (صليبا، 1982، ص213)، فالقيم –وفق هذا الاتجاه– من نسيج الخبرة الإنسانية، وجزء لا يتجزأ من كيانها، فالأشياء ليست في ذاتها خيرة أو شريرة، صحيحة أو خاطئة، قبيحة أو جميلة، وإنّما هذه الأحكام نصدرها من واقع تأثرنا وتفاعلنا معها. (العوا، 1986، ص100).

وعلى الرغم من صعوبة تعريف القيمة لتعدد الآراء واختلاف المفهومات التي تتحكم فيها العديد من الخلفيات النظرية، والثقافية، والأيديولوجية، فضلاً عن الديانات والمعتقدات، خاصة أنّ الفهم الأكاديمي لمفهوم القيمة يعترف بتعقيده وتعدد أبعاده مما أدى إلى صعوبة تحديده أو تعريفه، وهذا ما أشار إليه العالم النفسي الاجتماعي الرائد في دراسة القيم (ميلتون روكيتش Milton Rokeach) في كتابه The Nature of Human Values (1973) مبرزاً مجموعة من التحديات الكامنة في هذا المفهوم تؤدي إلى صعوبة تعريفها وتصنيفها. (Rokeach، p, 49).

إلّا أنّنا سنحاول بيان بعض آراء ومفاهيم الفلاسفة والباحثين في شتى المجالات حول القيم، وهي وإنْ كانت مختلفة في بعض الجوانب إلّا أنّها تكمل بعضها البعض:

– يُنظر إليها باعتبارها مجموعة من المعايير التي يُحكم بها على ما هو حسن وما هو قبيح. ومن التعريفات التي تبنت هذا الاتجاه تعريف الشافعي: "القيم هي مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية بين الناس، يتفقون عليها فيما بينهم، ويتخذون منها ميزاناً يزنون به أعمالهم، ويحكمون به على تصرفاتهم المادية والمعنوية" (الشافعي، 1976، ص375).

– أنّها موجهات السلوك الإنساني وضوابطه، وهي حامية البناء الاجتماعي. (الدسوقي، 1985، ص320).

– عبارة عن نظام معقد يتضمن أحكاماً تقويمية إيجابية أو سلبية تبدأ من القبول إلى الرفض، ذات طابع فكري ومزاجي، نحو الأشياء وموضوعات الحياة المختلفة، بل نحو الأشخاص. وتعكس القيم أهدافنا واهتمامنا وحاجاتنا، والنظام الاجتماعي والثقافي التي تنشأ فيها بما يتضمنه من نواحي دينية واقتصادية وعلمية. (أبو النيل، 1985، ص229).

– أنّ القيمة هي صفة الشيء المعتبر أنّه قابل للرغبة فيه أو ما هو جدير بأنْ يُطلب. (بدوي، 1976، ص90؛ رحمة، 1992، ص144).

إذاً نلاحظ أنّ مصطلح القيمة (Value) له أهمية كبيرة في الفلسفة، حيث تُعدّ القيم جزءاً من الأخلاق. وحاولت المذاهب الفلسفية على اختلافها الإجابة بشكل أو بآخر على أسئلة ومشكلات فلسفية ترتبط بالقيم. ولكن الإجابات لم تصل حتى الآن إلى اتفاق حتى على طبيعة المشكلات المرتبطة بهذا الموضوع. ومع ذلك ستظل القيم مبحثاً فلسفياً جديراً بالبحث والتأمل.

ثانياً: تصنيفات القيم:

اتضح أنّ القيم –من محاولة تعريفها– متضمنة ومتداخلة، وبالتالي كان من الصعب تصنيفها بدقة. إلّا أنّنا سنشير هنا إلى بعض التصنيفات التي وضعها بعض المفكرين منها:

– تصنيف المفكر المصري عبد الرحمن بدوي: يُصنفها إلى ثلاث مجالات (قيم عقلية، وقيم جمالية، وقيم أخلاقية)، وتصنيف على أساس ما هو مادي محسوس وغير محسوس:

أ. قيم مادية.

ب. قيم روحية (طهطاوي، 1996، ص46-48).

– تصنيف أبو العينين للقيم:

أ. قيم روحية وعقدية كحب الله والإيمان بالله.

ب. قيم خلقية كالصدق والأمانة والعدل.

ج. قيم عقلية تتصل بالمعرفة وطرق الوصول إليها.

د. قيم وجدانية كالحب وضبط النفس.

هـ. قيم اجتماعية مثل التعاون والتطوع والإحسان.

و. قيم مادية تتصل بالعناصر المادية كالاقتصاد في الإنفاق.

ز. قيم جمالية تتصل بالتذوق الجمالي والحكم على الأشياء (أبو العينين، 1988، ص100).

والجدير بالذكر هنا أنّ الإنسان –بصفته كائناً اجتماعياً– يدفع هذا الاجتماع بالضرورة إلى إنتاج منظومات من القيم تعمل على حل مشكلاته التي تبعده عن إنسانيته. وهذه القيم لا تعمل بشكل منفصل، بل تعتمد على بعضها البعض حيث تتفاعل وتتداخل في تأثيراتها على أداء الأفراد وعلى إنجازاتهم، وإنْ كانت تنتظم في أنساق وسلالم قيمية. فالقيم الأخلاقية –على سبيل المثال– تتمتع بمكانة خاصة في سلم القيم، بمكانة لها علاقة بالرقي والتحضر. فالمرء "ليرقى بالقيمة الأخلاقية فوق مطالب الحياة البيولوجية والاقتصادية، وليس من ينكر أنّ على المرء أنْ يتغذى ويلبس ويقطن وينتقل ويستخدم أدوات تساعده على نجوع أعماله... ولكن هذه المطالب القيمية الضرورية أو النافعة تبقى خاضعة للحاجات الفيزيولوجية التي تخضع بدورها لتعاليم القيم الأخلاقية وأوامرها." (العوا، 2001، ص50).

ثالثاً: مفهوم الذاتية والموضوعية:

يُعدّ موضوع النسبية والموضوعية في دراسة القيم من الأمور المهمة في فلسفة القيم بصفة عامة، والأخلاق بصفة خاصة. وتتناول النقاش والجدل بين النظرة التي ترى أنّ القيم نسبية وتختلف حسب الزمان والمكان، وبين النظرة الأخرى التي ترى أنّ القيم الموضوعية ثابتة ومستقلة عن الظروف الفردية والاجتماعية.

* الذاتية أو الذاتي هو المنسوب إلى الذات ويعني الفردي، أي ما يخص شخصاً واحداً، فوصف شخص بأنّ تفكيره ذاتي يعني أنّه اعتاد أنْ يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه، ويُطلق لفظ ذاتي توسّعاً على ما كان مصدره الفكر وليس الواقع. (حسيبة، 2009، ص612-613).

وتُعدّ النزعة الذاتية للقيم مذهباً فلسفياً يرى أنّ القيم الأخلاقية، والجمالية، والمعرفية هي في حقيقتها نتاج تفضيلات وآراء شخصية، بمعنى أنّها مرتبطة بالخبرات الذاتية، والمشاعر، والرغبات، والمعتقدات الشخصية. وهذا الرأي يُقرّ بوجود تعددية في القيم، حيث يختلف الناس في تقييماتهم للأشياء وفق تجاربهم الشخصية ونظرتهم الثقافية أو الاجتماعية.

فالقيم النسبية هي نتاج للظروف الثقافية، والاجتماعية، والتاريخية، وتختلف من مجتمع إلى آخر. فما يَعدّه مجتمع ما قيمة لا يَعدّه مجتمع آخر ذا قيمة. ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه على أهمية السياق الثقافي والتاريخي في تشكيل القيم، فلا يمكن فرض قيم معينة على مجتمعات مختلفة.

وتشير القيم النسبية إلى أنّ القيم تعتمد على السياق الثقافي أو الاجتماعي أو الشخصي، فالصحيح والخطأ يختلف من مجتمع إلى آخر. ونجد هذا عند أصحاب الاتجاه التجريبي في الفلسفة الذي يقوم على مبدأ أنّ المعنى الحقيقي لأي مفهوم يجب أنْ يكون مرتبطاً بإمكانية التحقق الحسي أو التجريبي، فمفهوم الخير –على سبيل المثال– لا يشير إلى شيء يمكن ملاحظته بطريقة مباشرة، بل إلى حكم قيمي يختلف باختلاف الأفراد والثقافات، وما ينطبق على مفهوم الخير ينطبق كذلك على مفهوم الجمال الذي يعتبرونه مجرد انطباع شخصي لا وجود له بشكل موضوعي ومستقل عن نطاق الإدراك البشري.

فعلى سبيل المثال يرى بعض الفلاسفة أنّ الجمال قيمة يسعى الإنسان إليها في مجالات مختلفة من حياته، وهي قيمة تعتمد على الذوق الشخصي والثقافي. فما هو جميل في مجتمع ما لا يكون كذلك في مجتمع آخر. ولعل أشهر الفلاسفة المحدثين الذين أقروا بأنّ القيم نسبية هو الفيلسوف فريدريك نيتشه عندما ربط بين إرادة القوة والقيمة، جاعلاً الإنسان هو صانع القيم ومبدعاً لها لأنّ الطبيعة الإنسانية في نظره "تمتلك القدرة على خلق ما هو أرفع منها وإبداع ما يسمو فوقها." (قنصوه، 2010، ص173)، فالقيم نسبية وتتغير مع تطور المجتمعات.

ومن الأسباب المؤيدة للنظرة النسبية للقيم:

* الاختلاف بين المجتمعات والثقافات في فهم القيم الجيدة يشير إلى أنّها ليست مطلقة.

* تغير الزمن، أي أنّ القيم التي نكتسبها عبر الزمن ما كان صحيحاً وله قيمة في الماضي لا يكون كذلك اليوم.

* تعتمد القيم على تجارب الأفراد ورؤى الحياة.

فهي تتصف بالتغير بحسب الظروف، وتُفسّر ضمن الأطر الثقافية التي وُجدت فيها، وكذلك خاصة بكل مجتمع أو أفراد، وهذا ما أكدته الفلسفات الوجودية التي تَعدُ الإنسان يخلق قيمه الخاصة، فهي تُراعي الاختلافات الثقافية والاجتماعية.

* أمّا الموضوعية، فهي وصف لما هو موضوعي، وهي بوجه خاص مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة، أو بتحيز خاص. (صليبا، 1989، ص450)، فالموضوع هو الشيء الموجود في العالم الخارجي، وكل ما يُدرك بالحس ويخضع للتجربة، وله إطار خارجي، ويوجد مستقلاً عن الإرادة

والوعي الإنساني.(حسيبة، 2009، ص612).

وهي مذهب فلسفي يُنادي بأنّ القيم سواء أكانت أخلاقية أم جمالية أم معرفية لا تعتمد على الآراء الشخصية أو الأذواق الفردية، بل هي موضوعية وثابتة، يتم تقييمها بأنّها صحيحة أو خاطئة وفق معايير محايدة. ففي الأخلاق –على سبيل المثال لا الحصر– توجد معايير متكاملة عامة وصحيحة بغض النظر عن الثقافة أو المعتقد أو التاريخ. فمفهوم الخير والشر ليس مجرد تصورات مختلفة، بل هما مفهومان يتسمان بالنزعة الموضوعية. (الجلاد،2007، ص32).

تشير القيم الموضوعية إلى وجود قيم وأخلاقيات مستقلة عن الأشخاص وتجاربهم الشخصية، بحيث تكون القيم حقيقية ومعيارية في الواقع، لا مجرد تعبير عن تفضيلات شخصية أو تقديرات ثقافية. وفقاً للرؤية الفلسفية الموضوعية، فالقيم مثل الحق، والخير، والجمال ليست مجرد أذواق أو آراء ذاتية، بل هي قيم متأصلة في الواقع ويمكن اكتشافها وفهمها عن طريق الخبرات أو التجربة الخاصة. فالقيم الموضوعية تُعدّ قائمة بذاتها بغض النظر عن الذوق أو التصورات الفردية أو الجماعية.

إذاً يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ القيم موجودة بشكل مستقل عن أي رأي بشري. وبعبارة أخرى هناك معايير مطلقة وثابتة تحكم ما هو صواب وما هو خطأ، وما هو جميل وما هو قبيح، وما هو خير وما هو شر. ومن بين الفلاسفة الذين يقولون بموضوعية القيم الفيلسوف كانط عندما أكد بوجود قواعد أخلاقية مطلقة مثل الواجب الأخلاقي.

لذلك يمكن القول إنّ القيم الموضوعية تتصف بـ:

* أنّها ثابتة وتتميز بالاستقلالية، أي أنّها لا تتغير بتغير الزمان والمكان أو الأشخاص، وتصلح للجميع في جميع الأوقات.

وتُعدّ النزعة الموضوعية مثار نقاش كبير خاصة في سياق التنوع الثقافي والآراء حول القيم. فالقيم الموضوعية مستقلة عن الظروف الثقافية والاجتماعية، بمعنى أنّها قيم عالمية يمكن تطبيقها في أي زمان ومكان، مثل، على سبيل المثال، العدالة، والصدق، وحقوق الإنسان.

يمكننا هنا الإشارة إلى تصنيف (إميل برييه) لنظريات القيمة إلى نمطين: الأول وهو ما يُطلق عليه النظرية النقدية، والتي ترجع في أصولها إلى فلسفة كانط، والتي تقول إنّ القيمة وليدة ضرورة تفرضها طبيعة الشخص المدرك على الأشياء. فعلى سبيل المثال أنّ القيمة الموضوعية للمعرفة لا تنجم عن مطابقتها للشيء الخارجي، بل من مطابقتها للشروط الشخصية التي يمكن أنْ تجعل الشيء الخارجي موضوعاً لمعرفتنا. فالقيمة الموضوعية هنا تعني أنّ لها مكانة وموضوعاً واحداً من الناس جميعاً.

أمّا الثاني فهو ما يُطلق عليه حديثاً النظرية النفسية التي تعتمد على الميول والحاجات التي تتألف منها الحساسية الإنسانية. فقيمة الأشياء تتمثل وفق هذه الرؤية في العناصر التي يحتوي عليها الشيء وتكون مطابقة لحاجاتنا. فحساسيتنا تُشبه لوحة حساسة تكشف لنا عن القيم التي لا وجود لها خارج اللوحة. (برييه، 1956، ص85)، بمعنى تفضيل مسار عن آخر، والمسار المختار هو الأحسن والأفضل في نظر الفرد نفسه، رجوعاً إلى إدراكه وتقديره للظروف المحيطة به. (دياب، 1980، ص23-24).

رابعاً: القيم في الفكر اليوناني:

على الرغم من أنّ مصطلح (القيمة) ظهر استخدامه منذ عهد قريب إلّا أنّ ما ينطوي تحته من موضوعات قديم قدم الفكر. فقد طُرحت وسائل شتى على بساط الفلسفة في الفكر اليوناني. ولم يكن لفظ القيمة في حد ذاته موجوداً عند المفكرين اليونان، ولكن الفلاسفة القدماء عالجوا مشكلات تندرج تحت مبحث القيم (Axiology): مثل الخير، والصواب، والإلزام، والفضيلة، والأحكام الخلقية، والأحكام الجمالية، إلخ. وجميع هذه الإشكاليات من أصل واحد، إذ كلها تتعلق بالقيمة أو ما ينبغي أن يكون وليس ما هو كائن(البسيوني، 2002، ص 19-20).

هنا نحاول استعراض وتحليل طبيعة القيم في الفكر الكلاسيكي بالتركيز على اتجاهين رئيسيين: النزعة الطبيعية (النسبية) عند السفسطائيين، والنزعة المثالية (الموضوعية) عند أفلاطون، بالإضافة إلى محاولة التوفيق بينهما.

1. النزعة الطبيعية للقيمة عند السفسطائيين: يُعدّ السفسطائيون روادًا في تحويل الفلسفة اليونانية من التركيز على الطبيعة إلى الاهتمام بالقيم وما يتعلق بالإنسان، فكانوا أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، على غرار سقراط، تعكس فلسفتهم التحولات السياسية والاجتماعية في عصرهم، وتشبه إلى حد كبير فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر بفرنسا، خاصة مع (فولتير) و (روسو) عقب الثورة الصناعية. (مطر، 1998، ص120).

والفلسفة السفسطائية ترتكز في أساسها على أنّ الطبيعة البشرية تتسم بالشهوة والهوى، وأنّ القوانين وُضعت لضبط هذه الطبيعة،

لذلك تتسم القوانين والقيم بالنسبية إذ تتغير بتغير الظروف والأعراف، فالرجل القوي في نظرهم: "سواء بقوته العصبية أو المالية أو دهائه أو جدله، الحق في أنْ يتجاهلها أو يلغيها ويسير وفق هواه الطبيعي." (كرم، 2012، ص53). فالسفسطائيون تمسكوا بضرورة رد القيم إلى (الإنسان)، ونظروا إليها باعتبارها متطورة ونسبية، ممثلين بذلك النزعة الإنسانية، فالإنسان –كما يقول السفسطائيون وعلى رأسهم بروتاجوراس– مقياس الأشياء جميعاً؛ بمعنى أنّه هو من يحدد صحة الشيء أو بطلانه بناءً على ما يراه صواباً أو خطأ. (كرم، 2012، ص46).

ونظرًا لتعدد البشر واختلاف حواسهم ومشاعرهم، بل واختلاف حواس الفرد الواحد باختلاف ظروفه أصبحت (المعرفة) نفسها نسبية غير ثابتة، أليس يحدث أنّ هواء بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش منه الآخر، ويكون لطيفاً على هذا وعنيفاً على ذاك ؟ هذا يعني أنّ الحقيقة المطلقة تتلاشى لتحل محلها حقائق تتعدد بتعدد الأشخاص وتغير حالات الفرد الواحد. (عون، 1992، ص221)، فأصبحت الحقائق وليدة الإحساسات والانطباعات الذاتية الفردية، ففي المعرفة شككوا في وجود الحقيقة الموضوعية الثابتة، فالفرد بذلك هو من يقدم القيمة للمعرفة والحقيقة، وليس المعرفة والحقيقة هي من تقدّم القيمة للإنسان، ففكرة نسبية القيم عند السفسطائيين تُعدّ مفهومًا أساسيًا وجوهريًا يعكس احترامهم للعالم والإنسان، فالقيم ليست ثابتة أو مطلقة، بل هي نسبية وتعتمد على السياق الاجتماعي والثقافي للفرد، فالقيم لديهم تتشكل بناءً على تجارب الأشخاص وآرائهم، مما دفعهم إلى التشكيك في القيم التقليدية السائدة في مجتمعهم وهذا التشكيك ساهم في تعزيز التفكير النقدي، مما أدى إلى ظهور أفكار جديدة حول الأخلاق والسياسة.

كما امتدت هذه الشكوك في المعرفة إلى مجال الأخلاق فجعلهم الفرد مقياسًا للأشياء، كان "مقياساً للخير والشر أيضًا." (الطويل، 2006، ص100)، فالقيمة الأخلاقية –كما يرى السفسطائيون– مستمدة من الطبيعة، وتعتمد على الإجماع، فهي تختلف باختلاف الزمان والمكان، إنّها تقدير ذاتي نسبي، أي ما يمكن أنْ يكون خيراً بالنسبة لنا يمكن أنْ يكون شراً لغيرنا، وما يكون ممنوعاً في ثقافة ما أو دين ما يمكن أنْ يكون في ثقافة أخرى قانونياً، فالأخلاق عندهم ترجع لاعتبارات شخصية: "أنّ الخير هو ما أريد والشر ما لا أريد." (أفلاطون، 1967، ص20)، وبالتالي ليس العقل مصدر الأخلاق، بل الحواس وسيلة لإشباع الرغبات والحاجات الحسية مثل الطعام والشراب، وليس لإشباع الروح والرغبات العقلية. وينطبق على قيمة الجمال ما ينطبق على الأخلاق والمعرفة، فهو ذو طابع حسي نسبي وذاتي، فمصدره الذات البشرية ويختلف بنسبيته باختلاف المكان والزمان، فالقيمة الجمالية والفنية هي قيم مصدرها إجماع الناس في الزمان والمكان، فالفن ليس هدية من إله مقدس أو موهبة ربانية – على عكس الديانات الشرقية التي تؤمن بوجود إله للجمال وأنّ الفن مصدره قوة غيبية– بل هو سلوك بشري إنساني يأتي عن طريق المهارة التي يتعلمها ويكتسبها الفرد من خلال التجربة والتعلم والخبرة. (أفلاطون، 1967، ص23). فالسفسطائيون يميلون إلى التشكيك في القيم التقليدية التي كانت سائدة في مجتمعهم، وهذا التشكيك ساهم بطبيعة الحال في تشكيل مناهج التعليم في الفلسفة، حيث تمّ التركيز على أهمية التفكير النقدي والتحليل الشخصي بخلاف قبول القيم بشكل أعمى دون تحليل أو تفكير، وأثّر ذلك على الفكر الغربي الحديث والمعاصر الذي تناول العديد من القضايا المتعلقة بالأخلاق، والأدب، والسياسة، والفن، والجمال. فنجد على سبيل المثال الفيلسوف الألماني (فريدريش نيتشه) الذي تناول موضوع القيم، حيث رأى أنّ القيم التقليدية التي تبنتها المجتمعات –خاصة المجتمعات الغربية– ليست مطلقة وثابتة، بل هي نتاج تاريخي وثقافي يرتبط بصراعات القوى وظروف معينة تختلف من زمن لآخر ومن مكان لآخر، فهو يقول إنّ الإنسان الشجاع يجب عليه تجاوز القيود الثقافية السائدة ويسعى إلى تشكيل قيم تتوافق مع رغباته وإرادته القوية التي يجب أنْ تحلق بدون خوف ولا تقييد أو تقليد لكل ما من شأنه أنْ يُغل حركة الإنسان وحريته في هذا الكون. (بدوي، 1975، ص186).

وفي الحقيقة أنّ فكرة النسبية هذه الفكرة تتعارض مع الفلسفات الأخرى التي تؤكد على وجود قيم مطلقة أو موضوعية – كما سنشير إلى ذلك عند الحديث عن القيم الموضوعية– إلّا أنّنا هنا نشير إلى رأي الفيلسوف سقراط حيث وقف وبشدة رافضاً قبول نظرياتهم في المعرفة والنتائج الأخلاقية لمذهبهم، ورد الحقائق إلى العقل، وأقرّ بوجود قيم موضوعية مطلقة "لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، ولا تتغير بتغير الظروف والأحوال." (قنصوه، 2010، ص158).

كذلك نلاحظ أنّ الألفاظ تفقد قيمتها ودلالتها ووفق هذه الرؤية التي تقول بالنسبية، وليس هذا فحسب بل تؤدي إلى نوع من

الفوضى الأخلاقية والقيمية بين المجتمعات، وذلك لعدم وجود قانون أو معيار يحتكم إليه عند تقييم الأشياء والسلوكيات، إذ لا توجد "عندئذ أسس سليمة لتقويم السلوك، فيما عدا اتفاقه مع العرف الجماعي... فإذا كان سلوك الرجل الشرقي صوابًا مادام يتفق مع المعايير الشرقية، وسلوك الرجل الغربي صوابًا ما دام يرضي أمزجة الغربيين، فيمكن القول إنّ الالتجاء إلى التعذيب في عدالة العصور الوسطى كان صوابًا..." (ميد، 2022، ص272).

2. النزعة المثالية لطبيعة القيمة عند أفلاطون:

تُشكّل نظرية المثل* أساس رؤية أفلاطون للقيم، حيث يؤمن بوجود عالم روحاني وراء هذا العالم الحسي، وأنّ لكل موجود مادي مثالًا غير مادي في العالم العقلي أو الروحاني (أفلاطون، 1967، ص184)، وطبّق أفلاطون هذه الفكرة على القيم، فقال: إنّ بين هذه المثل مثالًا للخير، وهو معنى مطلق أزلي أبدي بالغ الكمال، وكلّما اقتربت المعاملة الإنسانية منه وانعكست عليها أنواره، كانت أقرب للكمال، وفهم هذا الكمال يحتاج إلى رياضة النفس وتهذيب العقل، ولا يدرك الفضيلة في خير أشكالها إلّا من كان فيلسوفًا. (الأهواني، 1991، ص75-76).

إذاً نظرية القيم عند أفلاطون التي ترى أنّ القيم موضوعية وليست نسبية تعكس رؤيته الفلسفية القائمة على نظرية المثل، فالكمال والروح –عنده– أسبق من الواقع والجسد، بذلك "يجعل مصدر القيم الإنسانية خارجًا عن الحياة الواقعية والخبرة الحسية للإنسان، وأنّ مصدرها عالم المثُل وهو عالم ثابت ومطلق." (بيومي، 2004، ص33)، فالقيم هي مثُل عليا مطلقة وكاملة مثل: (الخير، والحق، والجمال). وهذه القيم تتجاوز إدراك الإنسان الناقص الذي تتوق روحه إلى ذلك العالم، إنّها موجودة قبل وجود الإنسان ذي الطبيعة المادية في معظمها، وكان جزءًا منها، وما العالم الخارجي ليس سوى عوامل لتذكر عالم المثل. (قنصوه، 2010، ص85).

لذلك هاجم أفلاطون الموقف النسبي للسفسطائيين الذين قالوا إنّ: "الإنسان مقياس الأشياء جميعًا"، مؤكدًا أنّ القيم لا يمكن أنْ تكون نتاجًا للرأي الشخصي أو الثقافة، فقيمة المعرفة عند أفلاطون –على سبيل المثال– تكمن في موضوعيتها وثباتها، فهي ليست مجرد آراء أو ظنون تتغير مع الفرد، بل هي حقائق خالدة ومطلق يمكن للعقل إدراكها فأفلاطون في معالجته للقضايا المتعلقة بالمعرفة والسلوك سلك طريق تجاوز فيه "عالم الحس الذي كان ركيزة السفسطائيين في الإدلاء بآرائهم، إلى عالم أسمى منه هو عالم المثل الذي يستطيع الإنسان أنْ يصل إليه بواسطة عقله." (ميمون، 1980، ص132).

كذلك يرى أنّ القيم الأخلاقية والجمالية مثل الخير والعدالة والجمال، ليست مجرد مفاهيم نسبية أو نتاجًا للعادات الاجتماعية، بل هي مُثل مطلقة وموجودة بشكل موضوعي في عالم المثل، وهو عالم مفارق للعالم المادي الذي نعيش فيه، فالخير المطلق ليس مجرد فكرة نتفق عليها، بل هو حقيقة قائمة بذاتها، يدركها العقل الفلسفي عبر التأمل والجدل، فلا كمال ولا سعادة إلّا بها يقول في الجمهورية: " أنّ الخير فوق الوجود شرفًا وقوة." (أفلاطون، 1974، ص240).

وينطبق على قيمة الجمال ما ينطبق على الأخلاق، حيث نجد أنّ قيمة الجمال – في نظر أفلاطون– موجودة في عالم الأشكال (العالم المثالي)، ولا علاقة لها بتجربة الناظر، فهو شيء موضوعي متجذر في عالم المثل، مبدأ عقلي مجرد يمثل الكمال الجمالي، يتربع في عالم وراء عالمنا.. كأنّما الأثر الفني يستمد جماله من مشاركته من مثال الجمال بالذات. (أبو ريان، 1993، ص11).

خامسًا: التوازن بين النسبية والموضوعية: محاولة لتجاوز الثنائية:

انقسم المفكرون قديمًا وحديثًا إلى اتجاهين مختلفين حول طبيعة القيم: منهم من يقول بذاتية القيم، أي أنّها لا تشير إلى أي جوهر خارج الذات المدركة، بل هي تعبيرات ذاتية تتفاوت بين الأفراد والمجتمعات، في حين يرى الطرف الآخر أنّ القيم ليست ذاتية بالكامل، بل تمتلك أساسًا موضوعيًا يتجاوز حدود الإدراك الشخصي.

وهذا الانقسام بين الفلاسفة هو إشكال بحد ذاته، لذلك فإنّ أي محاولة لحل هذا الإشكال يجب أنْ تتجاوز هذه الثنائية الحادة لإيجاد تصور يعترف بالبعد الذاتي للقيم دون أنْ ينفي إمكانية وجود أنساق موضوعية تؤطرها.

فالقول إنّ القيم موضوعية بشكل مطلق يؤدي إلى تجاهل الفروق الثقافية ويفترض أنموذجًا عالميًا غير عادل، بل يصعب إثبات وجود قيم موضوعية غير متأثرة بالسياقات التاريخية والثقافية، هذا ما أكدته معظم الفلسفات المنطلقة من أنّ القيم مستمدة من قوانين لاتينية كلاسيكية، كما لاحظنا عند أفلاطون عندما أكد أنّ القيم موجودة في عالم المثل، فعلى الرغم من وجود الكثير من الانتقادات لرأي أفلاطون، حيث جعل القيم مفاهيم مجردة غير قابلة للتطبيق العملي، متجاهلًا بذلك التنوع بين المجتمعات في الثقافة والعادات فإنّه يصعب

إثبات وجود عالم المثل تجريبيًا، مما يجعل فكرته محل شك بين الفلاسفة.

وفي المقابل فإنّ القول إنّ القيم نسبية خالصة يؤدي إلى تبرير الأفعال اللأخلاقية بسبب الاختلاف الثقافي أو الرؤية الشخصية، كذلك لا نستطيع أنْ نفسر ميل المجتمعات البشرية إلى تطوير معايير قيمية مشتركة بينهم، وليس هذا فحسب بل أنّ فكرة النسبية للقيم تتجاهل حقيقة أنّ هذه القيم ليست مجرد أحاسيس فردية، بل هي بنيات عقلية واجتماعية لها تجليات موضوعية.

لذلك وعلى الرغم من الآراء التي تمّ عرضها حول مسألة القيم بأنّها ذاتية أو موضوعية، إلّا أنّنا لا يمكن أنْ نجزم بوجودها ذاتيًا أو موضوعيًا بشكل قاطع، فقيمة الجمال–على سبيل المثال– ونحن نقوم بعملية التذوق والحكم الجمالي، لا نستطيع أنْ نؤكد وبصورة قطعية بأنّها ذاتية موجودة في أذهاننا، أو موضوعية موجودة في الصورة الجميلة، فهناك أشياء تفرض علينا تقييمها بأنّها جميلة، كون الخصائص الجمالية موجودة فيها وبشكل ملاحظ كالتوازن والانسجام والإيقاع، التي يمكن تحليلها بشكل موضوعي.

لذلك نجد أنّ هناك فريقًا ثالثًا يرى أنّ الإحساس بالجمال موضوعي وذاتي في آن واحد، فهو موضوعي يشترك فيه الناس جميعًا؛ لأنّ الجميل يمتاز بخصائص ترتاح لها النفس، كالتناسق والتناسب، وهو ذاتي يتفاوت إحساس الناس به لأنّ دقائق الجمال تحتاج إلى فهم وتعمق. (ضيف، 1977، ص14).

ناهيك عن أنّ القول بالذاتية الخالصة حتمًا يؤدي إلى الكثير من التعقيدات، حيث تصبح الأشياء مجرد مسألة تفضيل شخصي لا معنى ولا قيمة لها، هذه الإشكالية فطن لها إيمانويل كانط (1724–1804) فحاول أنْ يقلل من حدة المشكلة، حيث أضاف مسحة موضوعية على إحدى القيم العليا، وهي قيمة الجمال. فعلى الرغم من أنّه يباعد بين حكم الذوق والحكم المنطقي بمقتضى التباعد بين الذاتي والموضوعي، إلّا أنّنا نجده يرى: "أنّ الحكم الجمالي يشبه الحكم المنطقي في كون أنّه من الممكن افتراضه صادقًا بالنسبة إلى الجميع." (كانط، 2005، ص111).

وترتبط القيم بتجارب الإنسان الشخصية، فالخير والجمال مشروطان بعواطفه وخلفيته الثقافية، فهو يدركها وفق منظومة إدراكية تتشكل وفق خبرته الحسية والعقلية. كذلك نلاحظ رغم اختلاف المعايير الأخلاقية والأذواق بين الأفراد والمجتمعات، إلّا أنّ هناك أنماطًا متكررة تشير إلى وجود انتظام في الأحكام القيمية يؤسس على أنماط موضوعية تعمل كإطارات مرجعية.

ولعلنا هنا نستشهد برؤية الفيلسوف الفرنسي لطبيعة القيم (لويس لافيل Louis Lavelle 1882–1951) لطبيعة القيم إذ يرى أنّ عبارة (القيم الموضوعية) عبارة تخلو من المعنى إلّا إذا قصد بها للدلالة على أنّ الموضوع إنّما يلقى قيمته من الفكر، فهذا الفكر ووظائفه الذهنية هو الفاعلية الشخصية التي تستقي منه كل قيمة أساسها. (العوا، 1986، ص417)، إنّها تنبع من التجربة الإنسانية بشكلها العام.

إذًا رؤية (لافيل) للقيم ترتكز على الجانب الروحي للإنسان، مؤكدة أنّ القيم ليست مجرد أشياء مادية أو مفاهيم عقلية، بل هي تعبير عن بعد أعمق في الوجود الإنساني، إنّها تبع من تفاعل الإنسان مع العالم ومع ذاته.

وبالتالي يجب أنْ ننظر إليها بوصفها ظواهر تفاعلية تنشأ عند تقاطع الذاتي بالموضوعي، فهي ليست أشياء قائمة بذاتها في العالم الخارجي، وأيضًا ليست مجرد مشاعر فردية معزولة عن الواقع، إنّها "تتأرجح بين الذاتية والموضوعية، والعقل والمعطي، والفردي والكلي، فلا يوجد لها ميدان ثابت، فهي من ناحية الكينونة نصفها بالفعل الذي تبدع به وجودها المستقبل، ومن جهة الذات فهي كالوعي الذي تفهم به أنّها ذات عروق في الكينونة، وأنّ كيانها الفردي ليس شيئًا غير الكينونة الكلية." (العيد، 2020، ص252).

الخاتمة:

– يُعدّ مبحث القيم واحدًا من أهم المباحث الفلسفية؛ لارتباطه الدائم بالنشاط الإنساني وطموحاته وإنجازاته وإخفاقاته. إذ شغلت مسألة القيم أذهان الفلاسفة على مر العصور، واحتلت حيزًا مهمًا من نتاجهم الفلسفي، حتى أنّ تصريحاتهم وتصوراتهم حول طبيعة القيم وماهيتها وترتيبها، وحول كونها نسبية ذاتية أو موضوعية مطلقة، كانت متباينة أشد التباين، وإنْ كانوا متفقين على أنّ القيم شأن إنساني دون الكائنات الحية الأخرى، سواء أكان منتجًا لها أم كان ممثلًا للقيم المفروضة عليه من نظام متعالٍ مهما كانت طبيعته.

– أنّ الاهتمام بالقيم في الفكر اليوناني تجلى بوضوح في الصراع الفكري بين السفسطائيين وأفلاطون، ففي حين دعاء السفسطائيين إلى نسبية القيم باعتبارها أمور تتحدد فرديًا وتختلف باختلاف الأشخاص والثقافات قدّم أفلاطون رؤية مغايرة تمامًا تقرّ بوجود قيم

مطلقة وثابتة بمعزل عن الإدراك البشري المتغير.

– أنّ آراء فلاسفة اليونان حول نظرية المعرفة التي تعالج إشكالية الحقيقة، وعلم الجمال الذي يعالج مشكلة الجمال، والأخلاق التي تعالج مشكلة الخير، وكانت تهتم بها لا لمعرفة بنيتها –كما هو الحال في الفلسفات الحديثة والمعاصرة – بل لمعرفة الكيفية والشروط التي توصلنا إليها.

– أنّ اختزال القيم إلى مجرد ألفاظ لا معنى لها هو تبسيط مخل بطبيعتها المركبة تمامًا، كما أنّ الادّعاء بأنّها حقائق مطلقة متجاوزة للإنسانية يتجاهل دور الوعي والتاريخ في تشكيلها. فالقيم هي بنى مرنة تتشكل عبر التفاعل بين العقل والمجتمع والتجربة الإنسانية.

– تتميز التجربة القيمية بأصالتها التي تماثل أصالة التجربة الإنسانية كلها، وتظهر هذه الأصالة في الانسجام الكامل بين الجسد والروح، فهي وإنْ كانت حاضرة في أبسط مستويات السلوك فإنّها لا تقتصر على تحديد واقعنا المباشر فحسب، بل أنّها تشكل فهمنا للعالم بأكمله وتحدد زاوية رؤيتنا له.

المصادر والمراجع:

- أبو العينين، علي خليل. (1988). القيم الإسلامية والتربية. القاهرة : الأنجلو المصرية.
- أبو النيل، محمد السيد. (1985). علم النفس الاجتماعي. بيروت: دار النهضة العربية.
- أبو ريان، محمد علي. (1993). فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- الأهواني، أحمد فؤاد. (1991). أفلاطون. (ط4). القاهرة: دار المعارف.
- إبراهيم، نجيب إسكندر؛ منصور، رشدي. (1974). كيف نرى أطفالنا. القاهرة: دار النهضة المصرية.
- ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. (المجلد 12). بيروت: دار صادر.
- أفلاطون. (1967). الجمهورية. (ترجمة فؤاد زكريا). القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ـــــــ. (1967). محاورة بروتاجوراس. (تحقيق محمد كمال الدين؛ مراجعة صقر). القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- ـــــــ. (1967). فيدون (الأصول الأفلاطونية). (ترجمة نجيب بلدي وآخرون). ط2. مصر: دار المعارف.
- برييه، أميل. (1956). اتجاهات الفلسفة المعاصرة. (ترجمة محمود قاسم). بيروت: دار الكتب للنشر.
- بدوي، عبد الرحمن. (1975). نيتشه (فلاسفة الفكر الأوروبي ؛ سلسلة الفلاسفة). (ط5). الكويت: وكالة المطبوعات.
- بدوي .،عبدالرحمن .. (1976). الأخلاق النظرية. (ط2). الكويت: وكالة المطبوعات.
- بيومي، محمد أحمد. (2004). علم اجتماع القيم. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
- البسيوني، مختار. (2002). الوضعية المنطقية بين القيم الدينية والأخلاقية عند آلفرد إيو. مصر: وكالة الشرق للطباعة.
- الجلاد، ماجد. (2007). تعلم القيم وتعليمها. (ط2). عمان: دار المسيرة.
- حسيبة، مصطفى. (2009). المعجم الفلسفي. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- حلمي مطر، أميرة. (1998). الفلسفة اليونانية (تاريخها ومشكلاتها). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ـــــــ، ـــــ. (1998). فلسفة الجمال (أعلامها ومذاهبها). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- خليفة، عبد اللطيف محمد. (1978). ارتقاء القيم (دراسة نفسية). مجلة عالم المعرفة (160). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- دياب، فوزية. (1980). القيم والعادات الاجتماعية. بيروت: دار النهضة العربة.
- الدسوقي، فاروق أحمد. (1985). مدى تأثير القيم الإسلامية. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- رحمة، إنطون. (1992). وسائل الإعلام وأثرها في القيم التربوية في المجتمع العربي المعاصر. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- زقزوق، محمود حمدي. (1983). مقدمة في علم الأخلاق. (ط3). الكويت: دار القلم.
- الشافعي، إبراهيم محمد. (1976). الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية. (ط2). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- شربال، مصطفى. (2021 أكتوبر). مفهوم القيم في الفلسفة والعلوم. المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات .م 4. العدد4.
- صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي. (ج2). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ضيف، شوقي. (1977). في النقد الأدبي. القاهرة: دار المعارف.
- الطهطاوي، سيد أحمد. (1996). القيم التربوية في القصص القرآني. دار الفكر العربي.
- الطويل، توفيق. (2006). الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها. (ط4). القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- عبد الحليم عطية، أحمد. (2016). نحو نظرية كونية في القيم (قراءة في مفهوم الخير الأخلاقي عند بيري). مجلة الاستغراب. العدد4. 4. السنة الثانية.

- عبد الرحمن، طه. (2001). تعددية القيم ما مداها وما حدودها. (ط1). مراكش: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- العوا، عادل. (1986). العمدة في فلسفة القيم. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- ـــــ، ـــــ. (2001). آفاق الحضارة. دمشق: وزارة الثقافة.
- العيد، معروفي. (2020م، أكتوبر). لويس لافيل ومفهومية القيمة الخلقية. مجلة الرستمية، (العدد الثاني). الجزائر: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- عمر، حسين. (1982). مقدمة علم الاقتصاد (نظرية القيمة). (ط6). جدة. السعودية: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.
- عون، فيصل بدر. (1992). محاضرات في الفلسفة القديمة. القاهرة: مكتبة سعيد رأفت.
- قاسم ، جميل. (2016). فلسفة القيم معناها ودلالاتها من سقراط إلى أزمنة الحداثة. مجلة الاستغراب. العدد4. السنة الثانية.
- قنصوه، صلاح. (2010م). نظرية القيم في الفكر المعاصر. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
- كانط،، إمانويل. (2005). نقد ملكة الحكم. (ترجمة غانم هنا). بيروت: نشر وتوزيع المنظمة العربية للترجمة.
- كرم، يوسف. (2012). تاريخ الفلسفة اليونانية. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- ميمون، الربيع.(1980). نظرية القيم في الفكر المعاصر (بين النسبية والمطلقية). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ميد، هنتر. (2022). الفلسفة أنواعها ومشكلاتها. (ترجمة فؤاد زكريا). القاهرة: مؤسسة الهنداوي.
- Rokeach , M.(1973). the nature of human values ,New York :Free Press.